

174824 - ترجمة السلطان المغولي "أورنك زيب" وهل كان سلفي العقيدة

السؤال

بارك الله فيكم ورفع درجاتكم في الدنيا والآخرة . أرجو منكم التكرم بإجابة هذا السؤال : ما حقيقة "أورنك زيب" (الامبراطور المغولي الذي حكم الهند) ؟ وهل كان من أتباع منهج أهل السنة والجماعة (السلف) ؟ أم أنه كان كباقي الأباطرة المغول ؟ .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

السلطان "أورنك زيب" هو أبو المظفر محي الدين محمد "عالم كير" ، سلطان مملكة شبه القارة الهندية وما حولها ، وهو أحد أحفاد "تيمور لنك" الطاغية المغولي المعروف ، ولد في 15 من ذي القعدة عام 1028هـ - يوافق 24 من أكتوبر 1619م - ، وتوفي في 28 من ذي القعدة عام 1118هـ - يوافق 20 من فبراير 1707م - .
و "أورنك زيب" - ويقال "أورنج زيب" - معناها بالفارسية "زينة العرش" ، ف "أورنج" معناها : عرش ، و "زيب" معناها : زينة ، وأما "عالم كير" فمعناها بالفارسية : فاتح العالم .

وهو ابن السلطان "شاه جيهان" أحد أعظم سلاطين دولة المغول المسلمين في الهند ، وهو الذي بنى مقبرة "تاج محل" الشهيرة التي تعد من العجائب ، ليُدفن فيها زوجته الشهيرة باسم "ممتاز محل" - والدة السلطان أبي المظفر - والتي فُتن بحبها ، ومن شدة حزنه عليها لم يعد صالحاً للملك ، فتولّى ابنه السلطان أبو المظفر الملك في حياته بعد معارك مع إخوته .
لم يكن السلطان "أورنك زيب" كباقي سلاطين المغول ، بل المعروف من سيرته أنه كان عالماً عابداً زاهداً تقياً شاعراً ، وكان حنفي المذهب في الفروع ، فهو ليس كباقي سلاطين المغول ، بل هو خير منهم جميعاً .

ومن أفعاله الجليلة : أنه حارب البدع والخرافات ، وترك الاستماع للموسيقى والغناء - مع أنه كان من الماهرين بهما - وأبطل الاحتفالات الوثنية والبدعية ، كما أبطل عادة الانحناء وتقبيل الأرض مما كان يُفعل للملوك قبله ، وأمر أن يحييه الناس بتحية الإسلام "السلام عليكم" ، ولعلّ هذا ما جعل بعض الكتّاب من الحاقدين على الإسلام يصفه بالتعصب ! ومن الممكن أن هذا جعل بعضهم يظنه "سلفياً" - وهو في هذه الأبواب كلها سلفي ولا شك - والواقع أنه - رحمه الله - كان حنفيّاً

المذهب ، والمعروف عن الحنفية في تلك البلاد أنهم ماتريديية في أبواب العقائد ، وقد ذكر كثير ممن ترجم له أنه كان متصوفاً ، فالله أعلم بحاله واعتقاده ، فليس هناك شيء نعلمه عنه بيقين ، والمشتهر في ترجمته هو أفعاله وصفاته كتعبده وزهده وديانته ، فقد ذكر مترجموه فيها أشياء كثيرة حميدة ، فإذا أضيف إليها محاربه البدع والخرافات ، وقضاؤه على الدويلات الرافضية ، ومنعه للاحتفالات البدعية والوثنية تبين أنه ملك يستحق الاحترام والتقدير والدعاء بخير ، وما فعله - رحمه الله - هو تطبيق عملي لمنهج السلف في الحكم وهو ما دعا بعض الأدباء - وهو الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله - أن يطلق عليه " بقية الخلفاء الراشدين " ، وقد ترجم له ترجمة جلييلة في كتابه " رجال من التاريخ " (ص 227 - 237) ، وقد ختمها بقوله :

وَوَقَّ إِلَى أَمْرَيْنِ لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِمَا أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ :

الأول: أنه لم يكن يعطى عالماً عطية أو راتباً إلا طالبه بعمل ، بتأليف أو بتدريس ، لئلا يأخذ المال ويتكاسل ، فيكون قد جمع بين السيئتين ، أخذ المال بلا حق ، وكتمان العلم .

الثاني: أنه أول من عمل على تدوين الأحكام الشرعية في كتاب واحد ، يتخذ قانوناً فوضعت له وبأمره وبإشرافه ونظره "الفتاوى التي نُسبت إليه فسميت " الفتاوى العالمية " واشتهرت بـ " الفتاوى الهندية " من أشهر كتب الأحكام في الفقه الإسلامي وأجودها ترتيباً وتصنيفاً .

" رجال من التاريخ " (ص 236) .

ومن أقرب مَنْ ترجم للسلطان من أهل عصره - ووصفه بالتصوف - أبو الفضل محمد خليل بن علي المرادي - رحمه الله - توفي 1206 هـ - وقد قال في ترجمته :

سلطان الهند في عصرنا ، وأمير المؤمنين وإمامهم ، وركن المسلمين ونظامهم ، المجاهد في سبيل الله ، العالم العلامة ، الصوفي العارف بالله ، الملك القائم بنصرة الدين ، الذي أباد الكفار في أرضه ، وقهرهم وهدم كنائسهم ، وأضعف شركهم ، وأيد الإسلام وأعلى في الهند مناره ، وجعل كلمة الله هي العليا ، وقام بنصرة الدين ، وأخذ الجزية من كفار الهند ولم يأخذها منهم ملك قبله لقوتهم وكثرتهم ، وفتح الفتوحات العظيمة ، ولم يزل يغزوهم ، وكلما قصد بلداً سلكها ، إلى أن نقله الله إلى دار كرامته وهو في الجهاد ، وصرف أوقاته للقيام بمصالح الدين وخدمة رب العالمين من الصيام والقيام والرياضة التي لا يتيسر بعضها لآحاد الناس فضلاً عنه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وكان موزعاً لأوقاته : فوقت للعبادة ، ووقت للتدريس ، ووقت لمصالح العسكر ، ووقت للشكاة ، ووقت لقراءة الكتب والأخبار الواردة عليه كل يوم وليلة من مملكته ، لا يخلط شيئاً بشيء .

والحاصل : أنه كان حسنة من حسنات الزمان ، ليس له نظير في نظام سلطنته ولا مدان ، وقد ألفت في سلطنته وحسن سيرته الكتب الطويلة بالفارسية غيرها فمن أرادها فليطلع عليها .

" سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر " (4 / 113) .

ثم قال - بعد ذلك - :

واشتغل بالمملكة من سنة ثمان وستين وألف ، وأراد الله بأهل الهند خيراً ؛ فإنه رفع المظالم والمكوس ، وطلع من الأفق الهندي فجره ، وظهر من البرج التيموري بدره ، وفلك مجده دائر ، ونجم سعده سائر ، وأسّر غالب ملوك الهند المشهورين ، وصارت بلادهم تحت طاعته ، وجُبِيَتْ إليه الأموال ، وأطاعته البلاد والعباد ، ولم يزل في الاجتهاد في الجهاد ، ولم يرجع إلى مقر ملكه وسلطنته بعد أن خرج منه ، وكلما فتح بلادا ، أشرع في فتح أخرى ، وعساكره لا يحصون كثرة ، وعظمت وقوته لا يمكن التعبير عنها بعبارة تؤذيها حقها ، والملك لله وحده ، وأقام في الهند دولة العلم وبالغ في تعظيم أهله حتى قصده الناس من كل البلاد .

والحاصل : أنه ليس له نظير في عصره في ملوك الاسلام في حسن السيرة والخوف من الله سبحانه والجد في العبادة . وأمر علماء بلاده الحنفية أن يجمعوا باسمه فتاوى تجمع جل مذهبهم مما يحتاج إليه من الأحكام الشرعية فجمعت في مجلدات وسماها بـ " الفتاوى العالمية الكبرية " واشتهرت في الأقطار الحجازية والمصرية والشامية والرومية ، وعمّ النفع بها وصارت مرجعاً للمفتين ، ولم يزل على ذلك حتى توفي بالركن في شهر ذي القعدة الحرام سنة ثمان مائة وعشرة ومائة ألف ، ونقل إلى تربة آبائه وأجداده ، وأقام في الملك خمسين سنة رحمه الله تعالى .
" سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر " (4 / 113) .

وللتوسع في ترجمته - أيضاً - : يُنظر ما كتبه الأستاذ عبد المنعم النمر في كتابه " تاريخ الإسلام في الهند " (ص 286 - 288) .

والله أعلم